**تفسير الآيات من [13- 18]، شروط التوبة**

مبحث فى علم التفسير

إعداد / شيماء عبد المجيد محمد زهران

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**shaimaa.abdelmajeed@mediu.ws**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى شروط التوبة**

**الكلمات المفتاحية – التوبه، يؤمنون، شروط**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة شروط التوبة**

* **.عنوان المقال**

**وجه المناسبة:**

**يقول الحق -تبارك وتعالى-: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ} [النساء: 17، 18].**

**ووجه المناسبة واضح؛ فإن الآيات السابقة كانت تتحدث عن جزاء الطائعين، وجزاء العاصين ومن التزم ونفذ ووقف عند حدود الله، ومن لم يلتزم وتعدى حدود الله وذكرت الآيات جزاء من يرتكب الفاحشة، الفاحشة التي هي فاحشة الزنا.**

**وشرعت الآيات السابقة أول وسيلة للحد من وقوع الزنا في تشريع حد الزنا كما رأينا في قوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ} الآية وما بعدها. وختمت الآيتان المتعلقتان بأمر الفاحشة بقوله: {ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ} فلما ختمت الآيتان بهذا الختام أراد الله أن يبين شروط التوبة، وكأن سائلًا سأل ما هو الباب الذي تقبل منه هذه التوبة؟ ومتى؟ وهل يتقبل الله توبة التائبين؟ فقال -عز من قائل-: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ}.**

**ب. معنى الآيتين، والحث على التوبة:**

**ومعنى الآيتين أن قبول التوبة فضل من الله  لهؤلاء الذين يقعون في المعاصي؛ لجهل منهم بما في المعاصي من خطر، ولكنهم لا يستمرئون هذه المعاصي إنما يتوبون من قريب قبل فوات الأوان، وقبل أن يصلوا إلى اللحظات الأخيرة في هذه الحياة، وأمثال هؤلاء وعد الله  بأنه سيتوب عليهم؛ لأن الله  هو العليم بهم الحكيم فيما شرع من قبول هذه التوبة، وليست التوبة لهؤلاء الذين يصرون على المعاصي إلى آخر لحظة من حياتهم حتى إذا حضر أحدهم الموت، وعاين ملك الموت وأصبحت الروح في الحلقوم، قال: إني تبت الآن. ولا هؤلاء الذين يعيشون حياتهم كفارًا إلى أن تحضر آجالهم فيموتون أمثال هؤلاء لا تقبل لهم توبة؛ لأنها لا تنفع في هذا الوقت، وأمثال هؤلاء أعد الله لهم عذابًا أليما.**

**إذا كان هذا هو المعنى المقصود بالآيتين، وأن الآيتين جاءتا لتحث الناس على الإقبال على الله بالتوبة، فماذا في الآيتين من المعاني؟ وماذا جاء من دعوة في هذا الدين للحث على التوبة؟:**

**سوف نلمح من خلال الكلمات والآيات شيئًا عظيمًا، وسوف نقف أيضًا عند التوبة؛ لنعرف أنها باب عظيم لمحبة الله  فإن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين. يحب التوابين فهم قريبون من الله  لأن التائب يكون على حال من الإقبال على الله  فهم بذلك أقرب الناس إلى الله ولذلك ورد عن عمر > أنه قال: "اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة".**

**وهذا المنهج في التوبة وقبولها هو طريق الأنبياء والمرسلين والصالحين عبر الأجيال والقرون من آدم # إلى محمد  إلى يوم الناس هذا في جيل من الصالحين المقبلين على الله  ولعلنا في هذا نذكر ما كان من أمر آدم حين وقع هو وحواء في المعصية: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ} [الأعراف: 23] وهذه كما هو معلوم هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه كما قال -عز من قائل-: {ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ} [البقرة: 37].**

**وفي هذا المقام نستطيع أن نذكر موسى #: {ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ} [الأعراف: 143] فهذا هو طريق الأنبياء وطريق الصالحين.**

**فإذا ما جئنا إلى خاتم الأنبياء محمد  فهذا رسول الله  كان يقوم الليل حتى تفطرت قدماه، وحين سألته السيدة الكريمة عائشة: لمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فكان يقول: «أفلا أكون عبدًا وشكورًا؟!» ورسول الله  هو القائل: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، والقائل: يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة»**

**فهذا إذن منهج للأنبياء والمرسلين بل هو دعوة للأنبياء والمرسلين لأممهم.**

**ج. من تقبل توبتهم:**

**قال الله تعالى: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ}: ومعنى قوله: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ}: إنما قبول التوبة على الله؛ تحقيقًا لوعده الذي لا يخلف لهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة، يعملون السوء بجهالة.**

**قال مجاهد وغير واحد: "كل من عصى الله خطأً أو عمدًا فهو جاهل حتى ينزع من الذنب". فهذا هو المراد بقوله سبحانه: {ﭿ ﮀ ﮁ}.**

**أما قوله: {ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ} فمعنى القرب هنا أي: ما لم يغرغر.**

**وفي هذا قد وردت الأحاديث عن عبد الله بن عمر > عن النبي  في عدة روايات خلاصتها قوله: «أن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» أي: ما لم تصل الروح إلى الحلقوم.**

**يقول العلامة ابن كثير بعد أن ساق جملة من الأحاديث، والروايات عن أصحاب رسول الله  يقول: فقد دلّت هذه الأحاديث على أن من تاب إلى الله  وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة؛ ولهذا قال تعالى: {ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ} وأما متى وقع الإياس من الحياة، وعاين الملك وخرجت الروح في الحلق، وضاق بها الصدر، وبلغت الحلقوم، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم فلا توبة مقبولة حينئذ، ولات حين مناص.**

**د. من لا تقبل توبتهم:**

**قال تعالى: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ}: {ﮐ ﮑ} أي: وليس قبول التوبة لهؤلاء الذين يرتكبون المعاصي ويرتكسون فيها، ويعيشون فيها إلى آخر حياتهم، هذه المعاصي قد تكون معاصيَ لقوم مؤمنين دعاهم ضعفهم إلى أن يرتكبوا هذه المعاصي فبقي الواحد منهم هكذا إلى أن مات أو إلى أن حضره الموت، وبلغت الروح الحلقوم، أو أن تكون المعاصي هي المعصية الكبيرة ألا وهي الشرك، وهؤلاء هم الكفار {ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ} وقد جاءت الأحاديث عن رسول الله  تبين ذلك، فيقول  فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله : «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه».**

**فإذن هذه التوبة ليست للذين يعملون السيئات، وانظر مرة أخرى إلى التعبير بقوله: {ﮓ} فهي تدل -كما ذكرنا- على التجدد والحدوث، وفي تسمية المعاصي بأنها سيئات تنفير، كما أننا رأينا وصف المعاصي بالسوء أيضًا، وفيه من التنفير ما فيه، فيجب على الإنسان العاقل أن لا يرتكب المعاصي؛ لأنها طريق سيئ يؤدي إلى نهاية سيئة.**

**وفي قوله: {ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ} [النساء: 18] كأن الموت شيء يأتي، فيحضر ولا بد من حضوره، وإذا حضر الموت أي: حضرت علاماته، وكان ملك الموت حاضرًا فإن هذا أمر يجب أن يلتفت إليه، وأن ينظر إليه العاقل نظرة متأنية حتى لا يصل إلى هذا الحد، وفي هذه اللحظات لا يغني عن الإنسان أن ينطق ببعض كلمات يقول فيها بأنه تاب إلى الله، ورجع إلى الله، وأيضًا هؤلاء الذين يموتون، وهم كفار {ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ}.**

**وانظر إلى قوله: {ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ} وقوله: {ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ} لتعرف الفرق بين الحالين، فهؤلاء بلغوا منزلة عالية، ودرجة رفيعة، استحقوا بها الفضل من الله، وأن يتوب الله عليهم، وهؤلاء بلغوا المنزلة التي وصلوا فيها إلى درجة من السوء حين غفلوا عن الله  وعن هذه اللحظات التي سيكون بعدها الوقوف بين يدي الله .**

**يخبر الله  عن حال هؤلاء بقوله: {ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ} أعتدنا لهم عذابًا أليمًا في هذه العبارة تلمح شدة الترهيب من العذاب الذي يقع فيه هؤلاء؛ لأن قول الله تعالى: {ﮥ} ليس مجرد إعداد للعذاب، وإنما الله  يقول بأن النار والعذاب الذي أعده الله لهؤلاء عذاب مجهز بكل ألوان التجهيزات، حاضر لا ينتظر إلا لحظة وصول هؤلاء إلى الله .**

**ولا يخفى عليكم أن العذاب إنما يبدأ من لحظات قبض الروح حين تأتي ملائكة ينتزعون روح هذا الكافر وروح هذا العاصي من جسده فلا يصلون إلى ذلك بمشقة شديدة يكون فيها الألم والحزن والتعاسة، بخلاف روح الإنسان المؤمن التي تسل من جسده كما تسل الشعرة من العجين كما جاء في الأحاديث، وأيضًا حين ينتقل هذا الإنسان إلى القبر وما في القبر وما بعد القبر والبعث والحساب والنشور والصراط والميزان كلها أمور أعدها الله  يعبر عنها قول الله تعالى: {ﮥ} بجعل هذا الفاعل أيضًا "نا": {ﮥ} بكل ما فيه من ألوان التعظيم، فالذي أعد هذا العذاب هو الإله القوي القادر القاهر، أعد لهم عذابًا أليمًا {ﮧ} وهي نكرة؛ فأفادت التهويل، وجاء وصف العذاب بقوله: {ﮨ} ليضيف لنا معنى آخر في شدة هذا العذاب، وأنه قد بلغ الغاية والنهاية في هذا الباب؛ لذلك يجب على الإنسان الواعي أن يعمل الحسنات حتى تُذهب السيئات كما قال تعالى: {ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ} [هود: 114].**

**وفي الحديث: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» فما أحسن حال التائبين! وما أشد بؤس العصاة المسوفين الذين يسوفون، ويؤجلون توبتهم حتى إذا حضر أحدهم الموت قال: إني تبت الآن! وهؤلاء أيضًا الذين يعيشون، ويموتون على الكفر، فأمثال هؤلاء لهم العذاب الأليم.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**